

مضامين رسائل الاتصال غير اللفظي: اللباس التقليدي للمرأة القبائلية نموذجاً

The meanings of non-verbal communication messages

Traditional Kabyle woman's clothes as a model

فايزة تمساوت¹

جامعة الجزائر 03

faiza.prof010@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/07/02 القبول 2020/11/30 النشر علي الخط 2021/03/15

Received 02/07/2020 Accepted 30/11/2020 Published online 15/03/2021

ملخص:

يحاول هذا البحث إلقاء الضوء على دور الاتصال غير اللفظي وأهميته في حياة الفرد باعتباره الأسبق على الاتصال اللفظي، وأن ظهور هذا الأخير لم يلغ اللغة غير الكلامية، كما يهدف هذا البحث إلى إظهار وجه من أوجه الاتصال غير اللفظي المتعددة وهو اللباس واللباس التقليدي على وجه الخصوص، وارتأينا أن نبين الرسائل الرمزية والدلالية التي يثبها اللباس التقليدي النسوي القبائلي كعينة لإثبات أن اللباس التقليدي ليس اعتباطياً وإنما يخضع لقوانين المجتمع وللأعراف والتقاليد والمعتقدات.

الكلمات المفتاحية: الاتصال غير اللفظي، اللباس، اللباس التقليدي، المرأة القبائلية.

Abstract:

This research (investigation) is an attempt to shed some light on the role of non verbal communication and it's importance in the individual's life, considering it prior to verbal communication which emergence did not cancel non verbal communication. This research also aims to demonstrate one of the various aspects of non verbal communication which is clothing, specifically traditional clothing , and we judged it important to illustrate the symbolic and the semantic messages that kabyle women traditional clothes as a sample to show (prove) that traditional clothes are not arbitrary but they are submitted to societal rules, convention (customs), tradition and beliefs.

Keywords: non verbal communication, clothes, traditional clothes, kabyle women.

¹ المؤلف المرسل: فايزة تمساوت البريد الإلكتروني: faiza.prof010@gmail.com

1. مقدمة:

تشكلت الملابس التقليدية والتي تمثل مظهرها من مظاهر الإبداع التشكيلي، في إطار العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية السائدة في مجتمعنا، والتي بلورتها وجسدتها الإمكانات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالموازاة مع العادات والتقاليد، فالملابس تعتبر مرآة عاكسة لكل عناصر الفنون الأخرى¹.

وتعتبر الجزائر من البلدان التي تزخر بإرث ملبسي غني جدا ومتنوع، بحيث يتميز لباسها التقليدي بالتنوع والاختلاف والتعدد ويتجلى هذا الاختلاف من منطقة إلى أخرى حسب عادات وتقاليد كل منطقة، كما أن تميزه نتيجة لخضوعه لعوامل ومؤثرات خارجية تتعلق بالاجتماع وما يخضع أفرادها إليه من معتقدات دينية وأعراف وتقاليد اجتماعية إضافة إلى عوامل ومتغيرات أخرى اقتصادية وسياسية²، ومن بين هذه الألبسة التقليدية نخص بالذكر لباس المرأة القبائلية، فنظرا لأهميته فقد ارتدته المرأة القبائلية -زيادة على وظائفه الطبيعية- لتحقيق حاجة الاتصال بغيرها، متخذة إياه كقناة ناقلة لمضامين ومعاني بالغة الدلالة تجاه أفراد الجماعة الذين تعيش معهم، وتأتي هذه الدراسة الوصفية التحليلية لتبيان الدلالات والرموز والمعاني الخفية والظاهرة للباس التقليدي النسوي القبائلي محاولا الإجابة على الإشكالية التالية: ما هو مضمون الرسائل الاتصالية التي تبثها المرأة القبائلية عبر لباسها التقليدي ومكملاته؟ وتحت هذا التساؤل الرئيسي ندرج بعض من التساؤلات الفرعية وهي كالآتي:

- ما هو الاتصال غير اللفظي، وما هي أهم وسائله وقنواته؟
- كيف نشأ اللباس وما هي وظائفه الأساسية؟
- ما هي الرسائل الرمزية المتضمنة في لباس المرأة القبائلية؟
- ما هي الدلالات الثقافية للحلي المكمل للباس التقليدي القبائلي؟

2. مفهوم الاتصال غير اللفظي:

يعد الاتصال غير اللفظي نتاج علوم مختلفة، اهتم أهلها بالظاهرة الاتصالية كاللسانيات الاجتماعية والسيما وعلم الاتصال وعلم النفس والفيزيولوجيا، ورأوا أن الاتصال الإنساني أوسع من أن يحد في اللغة اللفظية إذ أنها في حقيقة الأمر ليست إلا وسيلة من وسائله، بل أنهم رأوا أن نسبة ما تحمله الألفاظ في الحوار المباشر من معاني لا تزيد عن 35 % من مجموع الرسالة وما تبقى فهو لغير اللفظي كالحركات والإشارات وطريقة الأداء الصوتي...³

والاتصال غير اللفظي يحمل عنصر حتمية الاتصال، أي عدم الرغبة في الاتصال تعتبر اتصالا بحد ذاتها، مما يعني أننا لا نستطيع أن نتجنب الاتصال غير الكلامي، فهو حتمي، فإذا استطاع الإنسان أن يكف عن الكلام فإنه لا يستطيع أن يكف عن الحركة⁴.

¹ . سنية خيس صبحي، أنماط من الأزياء التقليدية في الوطن العربي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2007، ص 09.

² André Adam, le costume dans quelque tribus de l'Anti-Atlas, in Hespèris, 1952, p 460.

³ . محمد العبد، العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007، ص 103.

⁴ . أمال سعد متولي، مبادئ الاتصال بالجمهير ونظرياته، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 2007، ص 35.

ولهذا النوع من الاتصال دور في المجتمع إذ يقول دي سوسور "ويمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم الإشارات Sémiologie"¹، لكن في مثل هذا النوع من الاتصال، فإن اختيار الدوال Signifiants يحدده المجتمع بثقافته، ظروف معيشتة، تاريخه وحاضره، فلا وجود لدوال عالمية لأن اختيارها يعود إلى خيار سوسيولثقائي خاص ببلد معين وثقافة معينة.²

3. قنوات الاتصال غير اللفظي:

تعدد القنوات التي يمكن من خلالها متابعة الاتصال بالآخرين اعتمادا على اللغة غير اللفظية ومن أهم هذه القنوات:

- **الصمت:** الإنسان لا يستطيع إلا أن يتصل، فالاتجاه الشائع أن غياب الصوت الكلامي هو غياب للاتصال خاطئ، فالصمت موجود بصفة مستمرة ومتواصلة، وللصمت عدة أنواع وعدة حالات يحدث فيها ما ينتج عنه عدة أنواع وكل نوع دلالة الخاصة والمعاني المتعلقة به فنجد³:

- **تعابير الوجه والإشارات الجسدية:** إن لغة الجسد غالبا ما تكون أكثر تأثيرا من لغة الكلام، فالأشخاص يصدقون عادة حركات الجسد أكثر مما يصدقون كلمات المرسل، فلغة الجسد هي نسق من التعابير والحركات والهيئات والتموضعات الجسدية الدالة على معنى، تواضعت عليها جماعة لغوية ما، ويتبين من هذا أن الإشارات الجسدية تضم تعبيرات الوجه، العين، حركات أعضاء الجسد، الهيئات والأوضاع الجسدية والاتجاه.⁴

- **النظرات:** أغلب تعابير الوجه تستمد معانيها من خلال حركات العينين وهي من الأجدى بين وسائل الاتصال الكثيرة التي يتمتع بها الإنسان لإظهار ما يعتزم في قرارة نفسه.⁵

- **اللمس:** يعتبر أداة اتصالية مؤثرة تعبر عن العديد من المشاعر كالخوف، القلق وغيرها، ولكل ثقافة طريقتها للتعبير باللمس، فهو مسموح في ثقافة ومحضور في ثقافة أخرى.

- **نظائر اللغة أو النبرات الصوتية:** فالتغيرات في نبرة الصوت لها تأثير كبير على اللغة اللفظية من خلال نبرة الصوت، التغير في مقامات الصوت بالارتفاع والانخفاض، وكذلك الوقفات التي تتخلل بعض العبارات ودرجة الخشونة والليونة ورتابة الصوت على نمط واحد.⁶

¹. فرديناند دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: يوسف عزيز، دار الأفاق العربية، بغداد، 1970، ص 43.

². Joseph Courtes, *La sémiologie du langage*, Edition Nathan, France, 2003, P 22.

³. سامية محمد جابر، الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث، النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دون سنة النشر، ص 61. 62.

⁴. يوسف ولد النبية، التعليمية والاتصال غير اللفظي، مجلة اللغة والاتصال، العدد 13، مخبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران، الجزائر، 2013، ص 147.

⁵. مهدي اسعد عرار، البيان بلا لسان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ص 159.

⁶. سوزان دنيس وليمز، أسرار لغة الجسد، ترجمة مركز دافنشي، دار إبداع للنشر والتوزيع، مصر، 2008، ص 72.

■ **الحركات:** وهي التي يدرسها علم الكينيزية Kinésie أو علم لغة الجسد¹. والكينيزياء أو الكينيزية هي دراسة الحركات والإيماءات التي تستخدم كعلامات في عملية التواصل، سواء كانت هذه الحركات والإيماءات منفردة أو مرفقة بخطاب لغوي منطوق².

■ **التعبيرات الناتجة عن المسافة:** يقول بيير جيرو " لا يقتصر استخدام الاتصال غير اللغوي على الحركات فحسب، بل يتعدى ذلك إلى استخدامه الزمان والمكان، فالمسافة التي تفصلنا عن متحدثنا، والزمن الذي يستغرقه استقبالنا له وإجابته يشكلان علامات، فهذا الكلام هو المعنى بالدراسة تحت عنوان التقارب"³.

■ **لغة الأشياء:** ويقصد بها الملابس والروائح والأدوات التي يتم استخدامها ويمكن سردها كما يلي:

- الملابس والمظهر الخارجي: تعتبر الملابس والمظهر الخارجي أداة للتعبير عن الشخصية وهي أيضا إحدى أدوات لغة الجسد، فنوع الملابس وألوانها وجودتها ترسل رسائل غير لفظية للآخرين عن المستوى الاجتماعي والوظيفي والاقتصادي والعلمي والثقافي.
- الروائح: تعتبر الروائح من المصادر الأساسية للغة غير اللفظية في بعض المواقف، فهي تعطي انطباعا عن ذوق الشخص وطبيعة عمله.
- الأثاث والديكور: حيث يستخدم الأفراد أثاثا من مستوى معين وبطرق معينة لتزيين أماكن إقامتهم وتواجدهم، الأمر الذي يعطينا رسائل رمزية للتواصل بطريقة معينة معهم.

4. تعريف اللباس ونشأته:

تعرف الدكتورة عليا عابدين الملابس: بمعنى clothes هو الشيء المنسوج من الشعر أو الصوف أو القطن أو جلد الحيوان، أما ملابس فهي تعني الملابس التي تغطي الجسم كله بأنواعه المختلفة الداخلية والخارجية ومكملات الزينة الإكسسوارات⁴. ويرى العالم الاجتماعي رولان بارث " إن اللباس في نفس الوقت موضوع تاريخي وظاهرة اجتماعية، وهو ضمنا يعتبر كدال خاص على مدلول عام (عصر بلد طبقة اجتماعية) ، فمن خلال تعريف رولان بارث يتبين لنا أن اللباس أداة للكشف عن العادات والتقاليد التي تميز كل شعب من الشعوب، ولهذا نجد الأثواب تختلف طولاً وقصراً، شكلاً ولونا على حسب جملة من الاعتبارات الاجتماعية والثقافية والخاصة بكل مجتمع.

¹. ألن بيز، لغة الجسد: كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، ترجمة سمير ستخاني، الدار العربية للعلوم الأولى، بدون مكان النشر، 1997، ص 08.

². Pierre Guiraud, *Le Langage Du Corps*, Presses Universitaires du France, 1980 P 71.

³. Ibid , P 102.

⁴. عليا عابدين، دراسات في سيكولوجية الملابس، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1996، ص 41

5.نشأة الملابس:

ترجع تغطية الإنسان لجسده منذ وجوده على سطح الأرض، وهي التغطية التي تطورت فيما بعد على مر التاريخ إلى صور الأزياء والملابس التي نراها الآن إلى سببين:

1. تقلبات الجو مما جعل الإنسان يشعر بحاجة الماسة إلى حماية جسمه.¹
2. القصة الحقيقية لأول استعمال للباس من طرف الإنسان، والتي ذكرت في القرآن الكريم كاملة في سورتي الأعراف وطه إذ يقول الله تعالى في سورة طه " فوسوس إليه الشيطان، قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى"².

ثم نقله الإنسان من لباس بسيط له وظيفة وقائية يحمي الجسم من حر الصيف وبرد الشتاء، وأخرى أخلاقية بستر العورة أمام أعين الناس، إلى الوظيفة التزيينية والتجميلية لتصبح أنيقة وجميلة تبعث في نفس لابسها الرضا وملاحظتها الإعجاب، ومن ثم تغتنم الإنسان المتحضر بعد ذلك في صنع لباسه بما يتفق مع حاجاته وإمكاناته وطبيعة المجتمع والبيئة التي ينتمي إليها، واعتبر بذلك اللباس أول زينة في حياته الاجتماعية.

إلى جانب كل هذه الدوافع التي أدت بالإنسان إلى اختراع اللباس يبقى دور العادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات في المجتمع ظاهرة فيما يرتديه الفرد، من خلال القوانين التي تفرضها كل منطقة، لهذا نجد اختلاف في اللباس من شخص لآخر باختلاف المهنة، المكانة الاجتماعية والاقتصادية وحتى الدين والثقافة التي ينتمي إليهما.

6.وظائف اللباس:

إن اهتمام الإنسان بلباسه لا يقل عن اهتمامه بعمله وبيته وبأي شيء آخر، ذلك لما له من أهمية لا تقل أيضا عن أهمية ما حوله من الأشياء، إضافة إلى الوظائف التي يوفرها له هذا اللباس والتي من بينها:

الحماية: ولقد تم ذكر هذه الوظيفة في القرآن الكريم قال الله تعالى " والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون"³.

الاحتشام: إن الحاجة إلى الاحتشام تولدت منذ بدء الخليقة بدءا بتغطية الجسد بأوراق الشجر إلى جلود الحيوانات وانتهاء باللباس، وهو الأمر الذي ذكر في القرآن الكريم " يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون"⁴.

الوظيفة الجمالية الاغرائية: بحيث يكون الإنسان أكثر جاذبية فالنفس تحب الزينة والجمال وتنفر من القبح⁵، كما أن الله تعالى ذكر الزينة والتزين في القرآن الكريم بقوله تعالى " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين"¹.

¹ تحية كامل حسين، تاريخ الأزياء وتطورها، دار نضمة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص ص2.3.

² . سورة طه الآيات 120.121.122.

³ سورة النحل الآية 81.

⁴ سورة الأعراف الآية 26

⁵ عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الشهاب، الجزائر، 1988، ص 342.

الوظيفة الثقافية والتمييزية: لطالما أدى اللباس وظيفة هامة عبر مراحل الإنسانية بتعبيره عن المكتسبات والانجازات، الممارسات، الأفكار، العقائد، القيم والأعراف السائدة في كل حضارة من الحضارات، فكما يقول ابن خلدون " لكل شيء طبيعته التي تخصه"²، فاللباس يعتبر خصوصية ثقافية تميز كل مجتمع عن آخر، لأنه يحمل دلالات تعكس عادات وتقاليد ومعتقدات وقيم اجتماعية.

الوظيفة الاتصالية أو وظيفة التواصل: تعتبر الملابس وسيلة اتصالية كغيرها من الوسائل الاتصالية الأخرى، فهي تشكل لغة غير لفظية يتم من خلالها التعبير عن شخصية الفرد وانتمائه الثقافي والاجتماعي والديني، سنه وجنسه، وعلى حد تعبير ب. شيلدر " إن الآخر بالنسبة إلي هو جسده ومظهره"³.

7. اللباس التقليدي النسوي الجزائري:

تختلف الملابس التقليدية شكلا وتصميما ونسجا من مجتمع لآخر ومن منطقة لأخرى " فألوان وأشكال الملابس والمواد المصنوعة منها تتحدد بالفضاءين الثقافي والجغرافي، وهوما يمكن ملاحظته على المخلفات الوطنية والقومية لأزياء الشعوب والتي لم يكن إنتاجها عملا عفويا وتلقائيا وحسب، إنما كان يخضع لرؤية فنية نابعة من الخصوصية الثقافية والحضارية للدوات الوطنية"⁴، ويتنوع اللباس التقليدي الجزائري من منطقة إلى أخرى فتميز على سبيل المثال لا الحصر: الشدة التلمسانية، الفرقاني القسنطيني، الكاراكوالعاصمي، الملحفة الصحراوية والجة القبائلية .

8. اللباس التقليدي للمرأة القبائلية وبعده الاتصالي:

يعتبر اللباس شفرة من الشفرات الاجتماعية التي تسمح بترجمة القواعد الاجتماعية والعادات والنظم التي تنتهجها وتتبعها الجماعة، كما يحوي كامل القيم التي يتبناها هذا المجتمع ليعكس الهوية الثقافية له، على اعتباره صورة بصرية تعطي كيانا مرئيا لمختلف القيم الرمزية، كما أنه في ذات الوقت ينقل جزءا معتبرا من الإرث الثقافي لهذه الجماعة.⁵

ويعتبر اللباس التقليدي واللباس القبائلي على وجه الخصوص علامة سيميائية ثقافية، تحولت على مر الزمن إلى أيقونة لهذا المجتمع القبائلي تعكس حياته، عاداته، تقاليده وقيمه.

قليلا ما تعرض اللباس القبائلي للتطورات التي عادة ما تحصل للأزياء الأخرى في مناطق أخرى سواء من حيث القصة أو القماش أو التطريز، وهذا راجع إلى العزلة الاجتماعية والانزلة الجغرافي الذي يحول دون التواصل مع المناطق المجاورة والمتحضرة، هذا بالإضافة إلى المبادئ التي هي ضد الثقافات الأجنبية والغريبة عن المجتمع القبائلي.⁶

ولباس المرأة القبائلية لباس مميز وخاص، لأنه يتأقلم مع مختلف الأنشطة التي تراوحتها داخل أو خارج البيت، حيث تجدد نفسها في كل مرة مرغمة على ارتداء لباس يتواءم مع حركتها المستمرة ونشاطها، ويتمثل هذا اللباس في جبة طويلة مفتوحة من جهة الصدر واسعة ولها أكمام طويلة، كما تضع له حزاما على مستوى الخصر وخمارا على رأسها، ولكن قد تطرأ عليه تغيرات تبعا للمناسبة والنشاط والوقت

¹ سورة الأعراف الآية 31.

² محمد أمين العالم، حول مفهوم الهوية، مجلة العربي، العدد، 437 الكويت، افريل 1990، ص 26.

³ Paule Schilder, *l'image du corps*, Gallimard, Paris, 1968, p 08.

⁴ الحسين الإدريسي، الخصائص الثقافية والحضارية للملابس المغربية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 08، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، شتاء 2010، ص 156.

⁵ Danielle Cavalerie, Nathalie Cottin, *Au fil du temps Maya*, Musée des tissus, Lyon, 1999, P 13.

⁶ Leila Belkaid, *Costumes d'Algérie*, Edition du Lateur, Paris, 2003, P 107.

الذي تلبسه فيه، ففي فصل الشتاء تلبس ما يسمى أجلال Ajellal أو أخلال Axelal في منطقة اث هيشم،¹ مصنوع من الصوف الأبيض مطرز على شكل مستطيل دون خياطة من الجهتين، ويشد من جهة الكتفين بواسطة حلي خاص من الفضة، هذا بالإضافة إلى قطع أخرى تختلف بصفة قليلة أو كبيرة عن بعضها البعض مثل Talawt والتي تشبه إلى حد بعيد Axelal، Ddil ويكون أقصر بقليل ومطرز أكثر.

والمتعمق في هذا اللباس، يرى عدة أبعاد أخرى غير اعتباره علامة جنسية فقط، ولكن يكتشف أيضا أنماط العيش البسيط والاعتماد على الطبيعة كمصدر للرزق، باعتبار هذه الألبسة مصنوعة من مواد أولية محلية كالصوف وبطريقة يدوية.

وما يثير الاهتمام أيضا عند دراسة هذا اللباس هو أنه يعكس منظومة من القيم والمعاني والرموز والعقائد والثوابت التي يتبناها المجتمع القبائلي، وهذا من خلال بعض العناصر التي تكون هذا اللباس كالحزام مثلا Agus الذي يعتبر عنصرا مهما وأساسيا يرافق اللباس التقليدي القبائلي لا يمكن الاستغناء عنه، وتسمية Agus هي تسمية عامة ولكن هناك عدة أنواع منه كل واحد له اسمه الخاص به، فنجد agus harir, agus n d'amma, tisfifin, qechta² وكلها مصنوعة من خيوط Isura متعددة الألوان مضاف ومعمودة على مسافات منتظمة، يلف مرة واحدة على الخصر وظيفته رفع الفستان ليكون ما يسمى Iciwi أي على شكل جيب في الصدر، هدفه الأساسي هو إخفاء الصدر، إضافة إلى أهداف أخرى كاستعماله كجيب لوضع الأشياء أثناء العودة من الحقول لتتمكن المرأة من إمساك ولدها على ظهرها. إن وظيفة هذا الحزام تتعدى الوظيفة الجمالية لأنه يعبر عن قيمة أخرى كالحياة وبواسطته تستطيع المرأة إخفاء حملها أمام عائلتها.³

إضافة إلى الحزام نجد المنديل أو الخمار Amendil أو Timahremt وهو عنصر مهم لا تقل أهميته عن أهمية الحزام، يوضع على الرأس ويرمز لمعنى الحياء والعفة والشرف، لهذا لا يجوز نزعها أمام الرجال، ويأتي هذا الخمار على شكل مربع يطوى على اثنين ليصبح على شكل مثلث، يصنع من الحرير تثبت عليه خيوط متوازية تسمى Tazrurt وفي كل زاوية نجد Ticurin⁴.

نجد عند المرأة القبائلية نوعين من اللباس: لباس خاص بالمناسبات وآخر خاص بالعمل والنشاطات اليومية، فهذا الأخير يتميز بالطول مطرز من جهة الصدر وأسفل الفستان وفي نهاية الكمين بأشرطة تسمى Izagzagen بألوان متعددة كالأصفر والأخضر والأحمر، يلف الخصر بالحزام. كما يتميز هذا اللباس أيضا بوضع الفوطه عليه Lfuda مصنوعة من القطن مخططة بألوان كالأصفر والأحمر والأسود توجد منها عدة أنواع وتسميات تكون مطرزة من الأسفل تشد حول الخصر وتحافظ على الفستان من الأوساخ والتمزق، كما تعطي ثقلا للفستان خصوصا عند هبوب الرياح، أو توضع على الظهر لحماية الفستان من الماء عند حمل المرأة للجرة. أما لباس المناسبات يصنع في الغالب من الحرير ذو كمين طويلين، كما أنه يكون أكثر تطريزا لإثارة الاهتمام في مثل هذه المناسبات الاجتماعية، حيث تمرر رسائل الزواج في هذا الفضاء الاتصالي الخاص بالمرأة القبائلية، ويزين هذا اللباس بمكمالات أساسية كالحلي الفضية، يأتي باللونين الأحمر الذي يرمز إلى الحماية وهو أكثر الألوان لفتا للانتباه، كما يرمز إلى الحياة والحرارة والحركة والنشاط وإلى

¹. P Pichault, **Le costume traditionnel algérien**, Maisonneuve Larose, Paris, 2007, P 104.

². Ibid , P 106.

³. Pierre Bourdieu, **Sociologie de l'Algérie**, Que sais-je ? 8eme édition, France, 1985, P 58.

⁴. G. Laoust Chantreaux, **Kabylie coté femmes**, la vie féminine a Ait hichem 1937- 1939, 1994, p 59.

المرجان الذي يستعمل في الفضة¹، واللون الأصفر الذي يرمز إلى الحماية، النشاط، الربيع، كما تختلف وتنوع الحلي المرافقة - والتي لا يمكن الاستغناء عنها لما تضيفه من دلالات رمزية عديدة- فنميز على سبيل المثال لا الحصر عقد **السخاب** الذي يتمثل في عجيبة معطرة بأشكال هرمية (تجميع لعدة مثلثات)، هذه الأخيرة- المثلثات- التي ترمز للإخصاب والتكاثر حيث " يرمز المثلث عندما تكون قمته موجهة نحو الأسفل وقاعدته نحو الأعلى إلى بطن الأم أو الرحم الذي يحمل الحياة بحمله للأطفال"²، وهي نفس رمزية الفضة إلى جانب دلالة الصفاء والنقاء، وترمز القطع المرجانية إلى طول العمر كما ترمز إلى الدم باعتبارها ذات لون احمر، كما تدفع الأرواح الشريرة والحسد، وتعمل المادة المعطرة التي تنبعث منها رائحة طيبة إلى انجذاب الزوج إلى زوجته، لهذا فان هذه الحلية هي حكر على النساء المتزوجات " يوضع فقط في حضور أزواجهن ففي حال غيابهم لا يجب ارتداؤه ولا حتى ذكر اسمه لان ذلك يعتبر غير لائق ومخل بالآداب، وهذا بالنظر إلى طبيعة هذه الحلية المكونة من العجيبة المعطرة التي سبق وتم ذكرها والمثيرة للشهوة، كما يعتقد أيضا أن هذه الحلية تبعد الأرواح الشريرة وتقرّب الزوج من زوجته"³، ومن الحلي أيضا نجد **ثعصاب** التي توضع على الرأس، تحمل هذه الحلية في طياتها تشبيه بين الأرض والمرأة من حيث الخصوبة والتكاثر، فكل العناصر المكونة لها تشير إلى ذلك، فشكل المعين الذي ينتج عن دمج مثلثين من جهة القاعدة يحيل إلى اتحاد العضوين التناسليين الذكري والأنثوي الذي ينتج عنه الإخصاب والتكاثر⁴، هذا الأخير الذي مثلته الحلية على شكل أنواط من بذور الشمام والحمص بالنسبة للأرض والأولاد بالنسبة للمرأة والرجل، وبهدف حماية هذه العلاقة (الإخصاب والتكاثر) فلقد صممت الحلية وخمس صفائح وهذا العدد بمثابة تعويذة للحماية وإبعاد العين والحسد، بالإضافة إلى ما سلف نجد **الإيزيمين** اللذين يزينان صدر المرأة، وهذه الحلية تمرر لنا رسالة اتصالية مفادها اتحاد المرأة والرجل الذين يمثلهما المثلثان عبر علاقة الزواج (السلسلة الفضية) ليجتمعا في بيتهما المشترك الذي تمثله العلبة المربعة الشكل، هذا الأخير الذي يوحي بالاستقرار، الإخلاص، السكينة والأمان⁵، ويكون نتاج هذه العلاقة الأولاد الذين تمثلهم الأنواط المتدلية من العلبة وكل هذا تحت حماية الحرز الذي يصد عنهم العين وكل ما هو سيء.

9. خاتمة:

ما يمكن استخلاصه في نهاية هذا البحث:

- يمثل الاتصال غير اللفظي جزءا حيويا من الاتصال الإنساني يعزز معناه ويثري دلالاته، بل أن هذا النوع من الاتصال قادر على أن ينقل الرسالة كاملة وينوب عن الرسالة اللفظية.

¹ . Ben Saleh Bachir, Khaider Salim, **Quelques réflexions sur les signes culturels vers une interprétation sémiologique des couleurs**, colloque internationale sur la sémiologie et le texte littéraire, n 05, Algérie, sans date, P 490.

² . حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص 41.

³ . عائشة حنفي، المعاني الأخرى للحلي وطريقة لبسها بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة دراسات تراثية، المجلد 7، العدد 1، 2017، ص 126.

⁴ . Marie France Vivier, **Algérie mémoire de femme au fil des doigts**, Association Paris-Musées, Paris, 2003, p 18.

⁵ . Makilam M., **Signes et rituels magiques des femmes kabyles**, Karthala, 2011, p. 63.

- يتميز الاتصال غير اللفظي بأنواع عديدة منها لغة الأشياء التي أخذنا مثالا عنها يتمثل في اللباس واللباس التقليدي الخاص بالمرأة القبائلية على وجه الخصوص.
- اللباس التقليدي القبائلي مشبع بدلائل ورموز تبثها المرأة بمجرد ارتدائها له.
- للباس التقليدي النسوي القبائلي دورا اتصاليا يبين طبيعة البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها المرأة، وما يحيطها من علاقات وعادات وتقاليد وقيم، هذا ما جعل هذا اللباس يتجاوز جانبه الجمالي إلى بعد اتصالي أكثر عمقا في الثقافة الشعبية القبائلية.
- اللباس القبائلي عبارة عن خطاب يكشف الواقع الثقافي للجماعة الاجتماعية، وهو في ذات الوقت مرآة عاكسة لمحمل الاعتقادات والمعاني الرمزية الاجتماعية، ويمنح في ذات الوقت صورة رمزية ثقافية لمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية.
- ترمز الحلية السابقة الذكر إلى الحالة الاجتماعية للمرأة متزوجة أو عزباء، حيث أن هذه الحلي لا تضعها إلا المرأة المتزوجة تويجا لها " بحيث تظهر الملامح والمعاني التي تحملها على وجهها والتي تعبر من خلالها على الفخر والاعتزاز بالمكانة الممنوحة لها داخل الجماعة"¹، بمعنى أنها ترمز إلى أن هذه المرأة ملك لشخص آخر، فتفرض بذلك احترامها ما دامت تضع تلك الحلية، فهي تمثل طقسا من طقوس العبور أو الزواج.
- ترمز أيضا الحلي المذكورة إلى علاقة المصاهرة أي الرباط أو العلاقة التي تجمع عائلتين بعد تزويج ابنتهم من ابنهم، ولهذا أطلق ابن خلدون عليها اسم " الرباط الذي يربط بين العائلات والقبائل"².
- إن اللباس التقليدي النسوي القبائلي يشكل تناسقا مع الحلي الذي يرافقه، وهو التناسق الذي ينتج عنه رسائل اتصالية، فكما يقول رولان بارث " اللباس يسمح بخلق التواصل الفعال عبر تناسق العناصر المشكلة لبنيتها من أشكال ورموز وألوان"³.

10. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

الكتب:

1. ألن بيز، لغة الجسد: كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، ترجمة سمير ستخاني، الدار العربية للعلوم الأولى، بدون مكان النشر، 1997.
2. أمال سعد متولي، مبادئ الاتصال بالجماهير ونظرياته، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، مصر 2007.
3. تحية كامل حسين، تاريخ الأزياء وتطورها، دار نضمة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2000.
4. حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.
5. سامية محمد جابر، الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث، النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دون سنة النشر.

¹. عائشة حنفي، مرجع سبق ذكره، ص 122.

². فريال زيدي، عملية اتصال المرأة بالحلي، الجزائر، 1996، ص 28.

³. Roland Barthes, *Système de la mode*, Aux éditions du seuil, Paris, 1967, P 40.

6. سنية خميس صبحي، أنماط من الأزياء التقليدية في الوطن العربي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2007.
7. سوزان دنيس وليمز، أسرار لغة الجسد، ترجمة مركز دافنشي، دار إبداع للنشر والتوزيع، مصر، 2008.
8. عائشة حنفي، المعاني الأخرى للحلي وطريقة لبسها بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة دراسات تراثية، المجلد 7، العدد 1، 2017.
9. عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الشهاب، الجزائر، 1988.
10. عليّة عابدين، دراسات في سيكولوجية الملابس، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1996.
11. فرديناند دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة : يوسف عزيز، دار الأفق العربية، بغداد، 1970.
12. فريال زيدي، عملية اتصال المرأة بالحلي، الجزائر، 1996.
13. محمد العبد، العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007.
14. مهدي اسعد عرار، البيان بلا لسان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.
15. يوسف ولد النبية، التعليمية والاتصال غير اللفظي، مجلة اللغة والاتصال، مخبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران، الجزائر، العدد 13، 2013.

المجلات:

16. الحسين الإدريسي، الخصائص الثقافية والحضارية للملابس المغربية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 08، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، شتاء 2010.
17. محمد أمين العالم، حول مفهوم الهوية، مجلة العربي، العدد 437، الكويت، افريل 1990.

Livres :

18. André Adam, le costume dans quelque tribus de l'Anti-Atlas, in Hespèris, 1952.
19. Danielle Cavalerie, Nathalie Cottin, **Au fil du temps Maya**, Musée des tissus, Lyon, 1999.
20. G. Laoust Chantreaux, **Kabylie coté femmes**, la vie féminine a Ait hichem 1937- 1939, 1994.
21. Joseph Courtes, **La sémiologie du langage**, Edition Nathan, France, 2003.
22. Leila Belkaid, **Costumes d'Algérie**, Edition du Lateur, Paris, 2003.
23. Makilam M., **Signes et rituels magiques des femmes kabyles**, Karthala, 2011
24. Marie France Vivier, **Algérie mémoire de femme au fil des doigts**, Association Paris-Musées, Paris, 2003
25. P Pichault, **Le costume traditionnel algérien**, Maisonneuve Larose, Paris, 2007.
26. Paule Schilder, **l'image du corps**, Gallimard, Paris, 1968.
27. Pierre Bourdieu, **Sociologie de l'Algérie**, Que sais-je ? 8eme édition, France, 1985.
28. Pierre Guiraud, **Le Langage Du Corps**, Presses Universitaires du France, 1980.
29. Roland Barthes, **Système de la mode**, Aux éditions du seuil, Paris, 1967.

Séminaires :

30. Ben Saleh Bachir, Khaider Salim, **Quelques réflexions sur les signes culturels vers une interprétation sémiologique des couleurs**, colloque internationale sur la sémiologie et le texte littéraire, n 05, Algérie, sans date.